من كتب التراث

ممتع الأسماع

في

الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع

لمحمد المهدي الفاسي

المتوفى سنة 1109هـ

تحقيق وتعليق :

عبد الحي العمروي و عبد الكريم مراد

(من علماء فاس)

1994

الطبعة الأولى 1415 ــ 1994
© جميع الحقوق محفوظة

مقدمة

نعيد طبع كتاب ممتع الأسماع، مصححين الأخطاء الواردة في الطبعة الأولى - مضيفين بعض الزيادات في الهوامش، محاولين إصداره في حلة جديدة، آملين إرضاء المهتمين بهذا الميدان، معتذرين عما ورد في الطبعة الأولى من الأخطاء ورداءة الطبع، واضعين للكتاب عدة فهارس.

ولقد توخينا من تحقيق هذا الكتاب ونشره الأهداف التالية :

أ) تعميم الكتاب. فقد كان مفقودا، لا يوجد إلا في الخزائن الخاصة.

ب) التعريف بكثير من العلماء والصالحين الذين عاشوا في آخر القرن التاسع والعاشر والحادي عشر من الهجرة وهي الفترة التي خص فيها المؤلف كتابه للتعريف برجالها.

ج) سجل المؤلف في كتابه الممتع بعض الظواهر الاجتماعية، قلما نجد مثلها في مصادر أخرى. انظر مثلا ترجمة يوسف الفاسي رقم 125، فقد أشار المؤلف إلى آفة اجتماعية يسمونها اليوم الشذوذ الجنسي، وفي ترجمة أبي حفص عمر الخطاب رقم 24، وردت الجملة الآتية : ومن عاداتهم ألا يسموا الصداق والشروط إلا ليلة الزفاف.. وفي ترجمة سيدي عجال الغزواني رقم 9 قال : إن أهل الأندلس ينطقون بالقاف القريبة من الكاف، وقال في ترجمة سيدي محمد بن حكيم الأندلسي رقم 124 فكان الناس ياكلون في الأسواق ولم يكن يعهد بفاس قبل ذلك الأكل بالأسواق.

د) سجل المؤلف كثيرا من النكبات التي تعرضت لها فاس أو مراكش أو المغرب بصفة عامة فقد أشار في ترجمة أبي بكر المجاطي المترجم تحت رقم 128 إلى وباء مراكش عام خمسة وستين وتسعمائة، وأشار في ترجمة سيدي محمد الزعري رقم 127 إلى وباء عام ستة وألف، الذي عم الأراضي المغربية، وفي ترجمة سيدي محمد بن حكيم الأندلسي رقم 124 أشار إلى غلاء سنة أربع عشرة وألف. وقال في نفس الترجمة : وكان قبل وقوع زلزلة سنة ثلاث وثلاثين وألف يصيح : الردومات فإذا بالزلزلة المذكورة، فما بقيت دار غالبا بفاس إلا دخلتها الفؤوس.

هـ) يصحح الأخطاء التي وقع فيها بعض المؤرخين، فقد قال في ترجمة الحسن الجزولي : قال بعض الفقهاء : توفي سنة 992 وذكر في الدوحة أن وفاته في العشرة

السادسة من القرن العاشر، فأخطأ فيها، كما يقع له ذلك كثيرا فلهذا أترك نقل تاريخه في كثير من تراجمه، ولعله أخطأ أيضا في قوله إنه من أصحاب التباع.

ومثل هذه الأخطاء تقع كثيرا للمؤرخين الأقدمين والمعاصرين، راجع مثلا كتاب أزهار الرياض، في أخبار القاضي عياض للمقري، فقد أخطأ المحققان : سعيد اعراب ومحمد بن تاويت، حينما ذكر المقري عبد الرحمن الفاسي المتوفى عام 1036 فظن المحققان أن المقصود هو عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي سيوطي المغرب فقالا في التعليق : أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، سيوطي زمانه، توفي 1096 انتهى، وليس معقولا أن يذكر المقري عبد الرحمن بن عبد القادر الذي كان عمره يوم توفي المقري سنة واحدة، فالمقري توفي عام 1041 وعبد الرحمن بن عبد القادر ولد عام 1040 والصواب أن المقري حينما قال : وقد سلك هذه الطريقة صاحبنا وعصرينا العارف الصوفي سيدي عبد الرحمن الفاسي، إنما قصد عبد الرحمن العارف المتوفى سنة 1036 راجع أزهار الرياض، الجزء الرابع، صفحة 319 تحقيق سعيد أعراب ومحمد بن تاويت المطبعة المحمدية بفضالة.

وينقل المؤلف نصوصا تاريخية من كتب مطبوعة على الحجر بفاس مثل مرآة المحاسن، والدوحة، وغير مطبوعة كالإصليت، ومفتاح الفلاح، وعنوان أهل السر المصون للزواوي، وبذل المناصحة للبوسعيدي.

وبالاطلاع على هذه النصوص نستطيع المقارنة بين النصوص الموجودة في المخطوطات القديمة التي كانت على عهد المؤلف، وبين المصادر التي طبعت اليوم، بالإضافة إلى النصوص المنقولة من كتب غير مطبوعة كالإصليت، ومفتاح الفلاح وغيرهما.

والملاحظ أن العصر الذي كتب فيه مؤلفنا ما كتب، كان عصرا زاخرا بالعلماء الأعلام مثل الونشريسي، صاحب النوازل المتوفى عام 914 وعبد الواحد بن عاشر المتوفى 1040، والعربي بردلة المتوفى عام 1133، وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي سيوطي زمانه المتوفى عام 1096، والمقري مؤلف النفح. ولم يشر إلى واحد منهم، باعتبار أنهم ليسوا من أتباع الشيخ الجزولي، بالرغم من أنه ترجم لبعض الشيوخ استطراداً من غير أن يكونوا من المدرسة الجزولية، فهل نستطيع أن نفهم أن هناك انفصاما بين رجال العلم، ورجال الصلاح، أو بين رجال الدنيا، ورجال الآخرة.

ويبدو أن المؤلف، الذي جمع بين ما يسمونه علم الشريعة وما يسمونه علم الحقيقة، كان حريصا في كتابه هذا على مناصرة الفئة الثانية، والدفاع عن بعض مواقفها، ومن ذلك دفاعه عن الشيخ محمد بن علي الهراوي دفين فاس المترجم تحت

رقم 39 فقد كان يدعي رؤية الحق بالبصيرة، ويجعلها كالرؤية بالبصر، وكذا دفاعه عن الشيخ التليدي المترجم تحت رقم 40 الذي كان يشير إلى نفسه بمقام الافراد، فلما اعترض الشيخ الهبطي المترجم تحت رقم 52 على مقالتهما، أخذ المؤلف يدافع عنهما بنفس طويل، ويبرر كلامهما، معتذراً أحيانا عن الهبطي، ومُنتقداً بعض مواقفه. كإفتائه بجواز العقوبة بالمال، وتفريقه بين الرجل وزوجه، لعدم معرفتهما عقائد الإيمان، وكتفسيره للهيللة تفسيراً مخالفاً لتفسير الجماعة. وقد أثارت هذه القضية ضجة كبيرة بينه وبين اليسيتني، مما دفع الحسن اليوسي إلى تأليف كتاب خاص في الموضوع سماه : مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص، وقد طبع على الحجر بفاس في عهد السلطان عبد الحفيظ عام 1327 وبلغت صفحاته : 419 ارجع إلى اعتراض المؤلف علي الهبطي إلى ترجمة سيدي محمد بن علي الهراوي المدعو الطالب، رقم 39.

والكتاب على كل حال مرآة صادقة للحالة التي كان عليها الفكر الديني والعلمي في بلدنا، ولعل التردي السياسي والفتن المشتعلة، والاضطراب الموجع، والمعارك الدامية التي كانت بين أولاد المنصور السعدي. كان لها الأثر في هروب الناس إلى الزوايا حيث الدعة والاطمئنان، والمحبة والأمان، والصفاء والوئام. وارجع إلى محنة المغرب بصفة عامة، وفاس بصفة خاصة إلى كتب التاريخ، ولاسيما : فاس قبل الحماية جـ 1 ص 119 بعنوان : أيام فاس القاتمة ونزهة الحادي صفحة 191.

وقد بذلنا الجهد في تحقيق هذا الكتاب، فاعتمدنا نسخة مخطوطة قديمة مغفلة من تاريخ نسخها، بقياس 30س طولا و21س عرضاً، منمقةً حروفُها، متسعةً سطورها، ملونةً كتابتُها، تشتمل كل ورقة على عشرين سطراً. تكرر في أعلى صفحاتها اسم مالكها، زيدان. وفي صفحة أخرى كتب عليها مالكها : أحمد بن علي بن زيدان، الذي يبدو أنه حفيد زيدان. ويظهر من متانة أوراقها، وخطها، أنها قديمة، وربما كان انتساخها قريب العهد من تأليفها. ورمزنا إليها بحرف خـ.

كما اعتمدنا نسخة مطبوعة على الحجر بالمطبعة الجديدة بفاس، تاريخها شهر شعبان عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف هـ. على عهد المولى عبد العزيز، وقد رمزنا إليها بحرف حـ وقد سرنا في التحقيق على النهج التالي :

1) التعريف بالمؤلف وبالظرف الذي كان يعيش فيه.
2) ترقيم الآيات الكريمة مع ذكر أسماء السور التي وردت فيها.
3) تخريج الأحاديث الواردة في الكتاب وذكر رواتها.
4) تصحيح النص بالمقارنة بين النسختين. أو بالرجوع إلي بعض المصادر الأخرى، ولاسيما المصادر التي ينقل المؤلف منها كالمراة، والدوحة، وكذا المصادر اللغوية.

5) وضع أرقام مسلسلة للشيوخ الذي ترجمهم، وقد بلغ عددهم 172 علماً.
6) وضع عناوين من الصفحات الخاصة بترجمة الشيخ الجزولي لتتضح العناصر التي ذكرها المؤلف، ولتكون بارزة للباحث، وإن لم تكن من كلام المؤلف.
7) ترجمة الأعلام الواردة في الكتاب عرضاً.
8) التعريف الجغرافي والتاريخي - بقدر الإمكان - للمدن والأمكنة والقبائل الواردة في الكتاب.
9) الاحالة على رقم الترجمة للاعلام التي يذكرها المؤلف في صلب الكتاب، إذا كانت في جملة الذين عقد لهم المؤلف ترجمة خاصة.
10) شرح الكلمات العامية وترجمتها إلى الفصحى.
11) إغناء الكتاب بوضع ملحقين في اخره.
12) وضع فهارس متنوعة تسهل على الباحث التعرف على ما ورد في الكتاب من أعلام وبلدان، وقبائل الخ.

لقد بذلنا جهدنا في إخراج الكتاب إخراجاً لائقاً، فإن حصل توفيق فبإذنه سبحانه، وإن أخطأنا فنسأله سبحانه أن يتجاوز عنا، فمنه نستمد العون والقوة، ومنه نطلب العفو والمغفرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

التعريف بالمؤلف وبكتابه

المؤلف :

هو أبو عبد الله، وأبو عيسى محمد المهدي، بن أحمد، المتوفى سنة 1062 ابن علي المتوفى سنة 1030 ابن أبي المحاسن المتوفى سنة 1013 ابن محمد المتوفى سنة 994 ابن أبي الحجاج يوسف المتوفى سنة 920 ابن عبد الرحمن المتوفى سنة 887 وهو أول من قدم من الأندلس إلى فاس.

مولده :

ولد محمد المهدي الفاسي بحومة القطانين، في القصر الكبير، آخر ليلة السبت السابع والعشرين من شهر رجب عام 1033 هجرية، وهو يوافق ماي 1625 ميلادية.

وفاته :

وتوفي يوم السبت التاسع من شعبان عام 1109 هجرية، الموافق 20 فبراير 1698 ميلادية، ودفن بضريح جد أبيه، يوسف الفاسي، وراء ظهره بعد صلاة العصر، خارج باب الفتوح بفاس.

أسرته :

تنتسب الأسرة الفاسية إلى عدي بن كعب بن لؤي بن فهر، وهم من ذرية حافظ الأندلس، أبي بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن فرج بن أبي الجد.

مقرها الأول :

كان مقر سلفهم بالأندلس في مدينة لبلة، من أعمال إشبيليا، ثم انتقلوا إلى مالقة وإشبيليا، وفي حدود عام 880 انتقلوا لفاس.

أول من انتقل منهم لفاس :

وأول من انتقل منهم من الأندلس لفاس، عبد الرحمن وأحمد ابنا أبي بكر بن الجد، حيث سكنا بحومة الشرابليين، بعدوة القرويين واحترفا بصياغة الشمع، حتى اشتهرت العائلة بالشماع، وفي ذلك يقول محمد بن الطيب القادري :

والده العابد للرحمـــن وقبره بفاس ذو رضـوان
وهو الذي أتى من الجزيرة في همة سنية مشهـورة

تجارتهم بين فاس والقصر :

وبعد وفاة الأخوين القادمين لفاس، في وباء سنة 887 هجرية خلف عبد الرحمن ولده يوسف، فكان يوسف هذا، يتاجر بين فاس والقصر، وكان القصر الكبير يومئذ مقصودا للتجارة، وسوقا كبرى، تجلب إليه البضائع المحلية من داخل المغرب، والبضائع الأوروبية التي ترد من الخارج، عن طريق الشواطئ التي كانت - يومئذ - محتلة، وعن الطريقة التجارية المألوفة، وعرف يوسف عند أهل القصر لكثرة تردده إليه وسموه الفاسي، عوضا عن ابن الجد، وعن الشماع، ونسبة الرجال إلى البلدان مما انتقده العلماء، فقد انتقد اليوسي رحمه الله في محاضراته ص 18 طبعة 1976 نسبة الأشخاص إلى بلدانهم، بأن ذلك متلفة للإنسان ونقل بيتاً للعراقي وهو :

وضاعت الأنساب بالبلدان فنسب الأكثر للأوطـان

كما نقل قول عمر رضي الله عنه :

تعلموا أنسابكم ولا تكونواكالقبط ينتسبون إلى القرى

شيوخ المؤلف في علوم الشريعة :

حفظ القرآن بالقصر الكبير، وأخذ عن أبيه علم المنقول والمعقول، وعن خاله محمد ابن أحمد الفاسي، وانتقل المؤلف من القصر لفاس لإتمام دراسته، فأخذ عن عمه الشيخ عبد القادر الفاسي، وعن الشيخ حمدون المزوار، وعن أبي العباس بن جلال، وعن أبي العباس الزموي وعن محمد بن يوسف الفاسي.

شيوخه في التصوف :

أخذ الطريقة عن ثلاثة شيوخ : أولهم محمد بن عبد الله الأندلسي، وثانيهم تلميذ شيخه الأول : الشيخ قاسم الخصاصي، وثالثهم الشيخ أحمد بن عبد الله معن.

علمه :

قال عنه صاحب السلوة : إنه كان متضلعا في الشريعة والحقيقة سالكا بهما مثلى الطريقة، واسع العارضة في الحفظ والتحصيل، لا يجاريه في التحقيق محقق ولا نبيل، متجردا دائما لتدريس العلم، والتأليف، والتقييد، والإفادة، والاستفادة، صاحب خط رائق، في غاية الإتقان، وقد كان مبرزا بصفة خاصة، في علوم التفسير والحديث، والسير، والأنساب والتاريخ.

عبادته وزهده :

كان مجتهدا في العبادة، متجردا من الدنيا، مكثرا من التلاوة والأذكار، يقوم ليلا بعشرة أحزاب، فلما ضعف قام بخمسة أحزاب.

أنفته وعلو همته :

كان لا يأكل إلا من عمل يده، ينسخ الكتب بخط رائق، واتقان فائق، وضبط بالغ، ولا ينسخ لمن في ماله شبهة، ولا يأخذ أجرته مجموعة، بل يتقاضاها على حسب ما ينسخ.

مؤلفاتـــه :

لصاحبنا عشرون مؤلفا :

1) شرح كبير على دليل الخيرات.
2) شرح متوسط.
3) شرح صغير.
4) ممتع الأسماع في أخبار الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع، وقد طبع على الحجر بفاس عام 1313 وهو الذي نقدمه اليوم للقراء محققا.
5) الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع طبع على الحجر بفاس.
6) تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطريقة الجزولية والزروقية.
7) الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية.
8) روضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية.
9) داعي الطرب في أنساب العرب.
10) الرصاصة المطفية في جوف من رد على أهل المخفية.
11) العقد المنضد من جواهر سيدنا ومولانا محمد.